# "التفسير الإشاري عند الإمام ابن عجيبة (ت ١٢٢٤ هـ)"

د. حسن بلحبيب

جامعة عبد المالك السعدي/ المغرب العربي

**الملخص**

يشرح البحث الطريقة التي سلكها الشيخ أحمد بن عجيبة في تفسيره الموسوم ب : « البحر المديد في تفسير القرآن المجيد » ، حيث جمع بين العبارة والإشارة جمعا وسطا لطيفا، وكان يبتدئ تفسير الآية الكريمة تفسيرا تقليديا عاديا مستفيدا من التركة الزاخرة للأولين كالطبري والواحدي والزمخشري والقرطبي وابن كثير وغيرهم، ثم يذهب إلى ما وراء سطر الآية، مستنبطا منها العبر والعظات والدروس، بحيث يستخرج منها إشارات هي بمثابة قواعد تُمَكِّنُ من استوعبها وَطَبَّقَهَا من الوصول إلى حضرة التقوى وحِصْنِ الإحسان.

وقد قسمت هذا المقال إلى ثلاثة مباحث هي : ترجمة الإمام ابن عجيبة/نبذة عن التفسير الإشاري/ التفسير الإشاري عند الشيخ ابن عجيبة رحمه الله تعالى.

# Explanation of the reference in the Imam Ibn Ajeeba (T 1224 A.H)

**Dr. Hassan Belhbeib**

**Researcher in mysticism and literary criticismArab Maghreb**

**Abstract**

A research in Quranic sciences, titled:"Imam Ibn Ojaiba's Indicative Explanation"by Researcher and Doctor Hasan Belahbib, University of Abd Almalek Assadi, Tetouan.

Research Summary:

The research at hand discusses the path that Chaikh Ahmad Ibn Ojaiba took in his explanation: "Albahr Almadid in the Explanation of the Holy Quran", where he combined expression and indication with gentle mediation. He would start explaining a holy verse in a traditional manner, benefiting from the rich heritage of pioneers such as Altabari, Alwaahidi, Alzamakhchari, Alkortobi, Ibn Katiir and others. Then, he would go beyond the verse, reading between the lines to deduce lessons and sermons. Further, he would point out signals that function as rules, enabling whoever understands and practices them to reach ultimate virtue and the fort of charity.

Thus, I divided this article into three segments, whichare:The Translation of Imam Ibn Ojaiba – a Preview of Indicative Explanation –Chaikh Ibn Ojaiba's Indicative Explanation (PBUH).

## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

وأما بعد: فإن تدبر القرآن والحديث الشريف أصل لاستنباط العلوم منهما، فقد قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[١]، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « رُبّ مبلغ أوعى من سامع » [٢]، والناس يتفاوتون في ذلكتفاوتا كبيرا ، ففي قوله تعالى : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾[٣]، قال ابن عباسرضي الله عنه : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ قال : قرآنا ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾قال : الأودية : قلوب العباد)[٤].

وقال ابن كثير في تفسير ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ :" هو إشارة إلىالقلوب وتفاوتها فمنها ما يسع علما كثيرا ومنها من لا يتسع لكثير من العلومبل يضيق عنها"[٥].

وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى : " لا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين – بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتّباعهم ما يحبه – ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال عليٌّ : إلافهما يؤتيه الله عبدا في كتابه ، وفى الأثر : من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم، وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع "[٦].

وقال[٧] ابن القيم في إعلام الموقعين : " والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص وأن منهم من يفهم من الآية حكما أو حكمين ، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك ، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته وتنبيهه واعتباره "[٨].

وإذا كان بعض المفسرين قد نحا منحى العبارة الظاهرة ولم يتجاوزها، والبعض الآخر غاص دون تبصر في بحر الإشارة الباطنة حتى وغل رأسه بين صخور المحيطات المظلمة ولم يلق للعبارة بالا قط، فإن الشيخ الجليل أحمد ابن عجيبة جمع بين العبارة والإشارة جمعا وسطا لطيفا في كتابه الموسوم بالبحر المديد في تفسير القرآن المجيد، حيث كان يبتدئ تفسير الآية الكريمة تفسيرا تقليديا عاديا مستفيدا من التركة الزاخرة للأولين كالطبري والواحدي والزمخشري والقرطبي وابن كثير وغيرهم، ثم يذهب إلى ما وراء سطر الآية مستنبطا منها العبر والعظات والدروس، بحيث يستخرج منها إشارات هي بمثابة قواعد تمكن من استوعبها وطبقها من الوصول إلى حضرة التقوى وحصن الإحسان.

وكان ابن عجيبة رحمه الله تعالى عندما ينتهي من تفسير آية أو مجموعة آيات يضع نقطة ويرجع إلى السطر مبتدئا بكلمة الإشارة أو الإشارات.

ويمكن تقسيم هذه الإشارات من حيث القدرة على استنباطها إلى ثلاثة أنواع، نوع سهل يمكن لكثيرين استخراجه دون كبير جهد، وقسم يمكن للبعض استنباطه لكن مع كثير عناء، وقسم ثالث لا يمكن الوصول إليه، فهو فتح لدني وهبه الله للشيخ ابن عجيبة، لكن هذه الإشارات حتى في مستواها الثالث الذي أسميته فتحا فهي لا تفقد خيط العبارة ولا تطفئ فتيل الفهم الظاهر، وهذا ما جعل الكثيرين من منتقدي تفاسير الصوفية يتوقفون عن الكلام في تفسير ابن عجيبة، لأن إشاراته مهما غاصت في بحر الإشارة فهي ممسكة بخيط أحيانا وبحبل أحيانا أخرى بسفينة العبارة.

وقد قسمت هذا المقال إلى ثلاثة مباحث هي : ترجمة الإمام ابن عجيبة/نبذة عن التفسير الإشاري/ التفسير الإشاري عند الشيخ ابن عجيبة رحمه الله تعالى.

## المبحث الأول : ترجمة الإمام ابن عجيبة :

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني الأَنْجْري التطواني، عارف رباني كبير، وعالم صوفي جليل، اجتمعت لديه عوارف العلوم والفنون، وانكشفت له أسرار الفهوم والمتون، فقيه ومفسر كبير، قلّ نظيره في بلاد المغرب، وعلا صنيعه ببلاد المشرق، وقد سلك طريقه العديد من النفوس، وتغنت بشعره الكثير من الألسن، إنه الشيخ العالم العارف الصوفي: "ابن عجيبة أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الأنجري الحسني" [٩] ، شريف النسب، شاذلي المشرب، "ولد بقرية أعجيبش من قبيلة حوز تطوان وذلك سنة ١١٦٠هـ "[١٠] ، من أبوين عابدين ناسكين، فطموه على الطاعة والعبادة منذ الصغر، يقول رضي الله عنه: "وكنت والحمد لله ألهمني الله الخلوة والوحدة، لا ألعب مع الصبيان ولا ألتفت إلى ما هم فيه، وقد ألقى الله تعالى في قلبي محبة العلم وأنا في حال الصبا، فقرأت القرطبية قبل ختم السلكة "[١١].

وعلى عادة العلماء المغاربة، حفظ سيدي أحمد ابن عجيبة القرآن، واعتنى بتصحيح قراءته، وببعض العلوم التي تلقاها على يد شيوخ كبار، كالمقرئ المحقق: سيدي أحمد الطالب، والفقيه الصالح سيدي عبد الرحمن الكتامي الصنهاجي، والأستاذ المحقق سيدي العربي الزوادي، يقول رحمه الله: " فقرأت مع قراءة القرآن مقدمة الأجرومية، والألفية، وابن عاشر، والخراز، وجزءا من حرز الأماني وغير ذلك من التآليف، فلما حفظت القرآن، سافرت لتصحيح القراءة وتعلم التجويد، فمكثت في قراءته خمس سنين بعد حفظ السلكة "[١٢].

لقد كانت أوقات سيدي ابن عجيبة في مرحلة الشباب، كلها بالعلم معمورة، وبالجد مثمورة، فلم تُلهِهِ تجارة ولا لهو، يقول رضي الله عنه: "وكانت نشأتي والحمد لله في صيانة وحفظ ورعاية وعفاف،لم يمر علينا ما يلحق حال الشباب من شعبة الجنون، بل عصمنا الله وحفظنا من المعاصي الكبار بعد الابتلاء والاختبار"[١٣].

كانت قريحته ولوعته بالعلم وهّاجة، وذلك لكثرة اعتنائه بالدراسة، وشدة حبه للعلم، فقد صدقت فراسة العالم الفقيه سيدي محمد السوسي السملالي(١٤)، الذي فطن لنباغته وفطنته، فقرر اصطحابه معه إلى القصر الكبير للاستزادة من العلم، والتبحر في فنونه، وصقل عوارفه وعلومه، يقول سيدي ابن عجيبة: "اشتغلت بقراءة العلم ففنيت فيه فناءا عظيما، حتى أهملت نفسي ونسيت أمرها..، وكنا نقرأ عليه– السوسي السملالي– سبع مجالس بين الليل والنهار، وإذا كان الثلث الأخير من الليل أقامنا للتهجد، فنتوضأ وندخل الجامع الأعظم، فيأخذ كل واحد منا سارية للتهجد حتى يقرب الفجر، ثم نرجع إلى المدرسة لقراءة العلم، فكانت أوقاتنا كلها معمورة، بين مطالعة ومدارسة وعبادة، فأقمت معه نحو عامين...، وكانت قراءتي والحمد لله كلها ممزوجة بالعبادة،لم نترك قيام الليل إلا نادرا، وكنت أَقْسم الليل ثلاثا: ثلث للنوم، وثلث للتهجد، وثلث للمطالعة، وكنت ألفت الوحدة، فما كنت أسكن إلا وحدي للتفرغ للعلم والعبادة، وما كنت أَجلس في حلقة العلم إلا على وضوء والحمد لله" (١٥).

هكذا كان سيدي ابن عجيبة مولعا بالعلم، فلا يطبق له جفن عن قراءة القرآن، ولا يفتر له لسان عن ذكر الرحمن، ولا يعطل من وقته شيئا، يحب العلم حبا جماً، ويلم بحقائقه لماّ، يقول رحمه الله: "...فأخذت العلم عن الفقيهين العالمِيْن المُدرسيْن سيدي أحمد الرشا، وسيدي عبد الكريم بن قريش(١٦)، فلازمتهما سنين" (١٧) ،حيث درس على الأول :" الألفية ومختصر خليل والسلم ومختصر السنوسي في المنطق والصغرى والكبرى له والمقنع، والخزرجية؛ ودرس على الثاني:التفسير وصحيح البخاري مرارا وصحيح مسلم مرارا والرسالة، وتحفة الحكام لابن عاصم، وألفية بن مالك...والعقيدتين الصغرى والكبرى، وتلخيص المفتاح في البيان، ومختصر السبكي في الأصول، والشفا، وهمزية الإمام البوصيري"(١٨).

كان رضي الله عنه لا يسافر إلا لطلب العلم أو نشره، فبعد مكوثه عامين بالقصر الكبير كطالب علم، انتقل إلى تطوان لمتابعة دراسته على يد شيوخ العلم، " وقد حصل على ما لم يحصل غيره من العلوم والفنون من نحو، وصرف، وبيان،

ومنطق، وكلام، وفقه، وتفسير، وحديث، وتصوف، وأصول، وغيرها" [١٩]، وبعد ذلك رحل إلى فاس لمتابعة دراسته العليا وأخذ الإجازة من علمائها، ثم رجع إلى تطوان ليشتغل بالتدريس، والذِكر، وهناك التقى بالشيخ سيدي محمد البوزيدي الحسني، يقول سيدي ابن عجيبة: "فاشتغلت بتدريس العلم، وذكر الله تعالى فردا وجماعة، حتى أخذ الله بيدي بملاقاة الشيخ سيدي محمد البُوزيدي الحسني"[٢٠] .

ولقد فرح سيدي ابن عجيبة، فرحا شديدا بملاقاة شيخه، خاصة حين أخبره بما سيعرفه من رفعة وعلو شأن، حيث قال له: "...والله سيكون لك أمر عظيم ...والله لتكونن جامعا بين الحقيقة والشريعة" [٢١].

ورغم كل هذا لم تقف نفس شيخنا ابن عجيبة الشرهة لأخذ العلم عند علم الظاهر فقط، بل تجملت وتجهزت لتستقبل علم الباطن كذلك، خاصة حين نضجت ثمرات علمه، وأصبحت بساطا لعمله، وهذا حال علماء الصوفية، يقول: "ولما حصلنا بفضل الله ما قسم الله لنا من العلم الظاهر انتقلنا إلى التهيؤ للعلم الباطن، وهو العمل بالشريعة الظاهرة، إذ لا ينتقل العمل للبواطن حتى تستقيم الظواهر، إذ الشريعة باب والحقيقة باب "[٢٢]

فلقد ارتشف شيخنا من كؤوس علوم الظاهر، ولم له يبق سوى كأس علم الباطن، الذي ختم به مسيرته العلمية الضخمة، لكن هذه المرحلة كانت أصعب من كل المراحل التي مر بها في حياته، حيث انتقل من الاجتهاد في طلب العلم، إلى الجهاد في تربية النفس، خاصة حين أمره شيخه البوزيدي، بترويض نفسه وتهذيبها، وذلك بكثرة المجاهدات والرياضات، لكي تصبح مرنة، وتتسلخ من بقايا الشوائب والعلل العالقة بها، فقد استطاع الشيخ أحمد بن عجيبة من تحقيق ذلك، وكان قدوة لغيره في الامتثال والتمسك بالشريعة، مع العلم أنه كان ذا خلق وعفة، ورفعة وهمة، فلقد "... أخذ أنوار الطريقة، وتلقى أسرار الحقيقة من أستاذه سيدي محمد البوزيدي

ولقّنه العهود والأوراد والذكر، وقال له : يا أحمد يا ولدي، شروط الطريق عندنا : الصدق والمحبة"[٢٣].

إن تغلغل سيدي ابن عجيبة في علوم القوم، وتفننه في معانيه، جعله جبلا شامخا في ميداني العلم والتصوف، حتى نال الحظ الأوفر، والقدر الأشمل، يقول: "وأما التصوف فهو علمي ومحط رحلي، فلي فيه اليد الطولى، والقدم الفالح، حزت فيه قصب السبق على طريق أهل الأذواق، فلله الحمد وله الشكر"[٢٤].

ومما يدل على صدق كلامه، كثرة وتنوع مصنفاته، ومؤلفاته، وكتبه، التي اشتهرت وانتشرت في كل ربوع البلاد الإسلامية، ككتاب: القضاء والقدر، وحقائق التصوف، وكشف النقاب عن سر لب الألباب، وكتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم، وكتاب الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، وغيرها.

وأما عن الشروح فيقول : "شرحت الهمزية والبردة للبوصيري، وشرحت الوظيفة الزروقية، وشرحت الحزب الكبير للشاذلي، وشرحت أسماء الله الحسنى، وشرحت المنفرجة وغيرها... وفسرت كتاب الله العزيز من أوله إلى آخره...، وجمعت فيه عبارة أهل الظاهر، وإشارة أهل الباطن، سميته بالبحر المديد في تفسير القرآن المجيد"[٢٥]، ومن الأحزاب الصوفية التي وضعها رحمة الله عليه، كثيرة نذكر من بينها: حزب الحفظ والتحصين، وحزب العز والنصر، وحزب الفتح، وغيرها.

إن مقصود مقام التصوف وجوهره عند ابن عجيبة هو : "تصفية البواطن حتى يكون العبد في حالة يرضاها الله ورسوله ظاهرا وباطنا، وأما مقام التصوف فهو مقام الإحسان الذي فسره رسول الله عليه الصلاة والسلام بقوله« : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك » [٢٦]، فهو يَعتبر رحمه الله أن علم التصوف " من أجل العلوم قدرا وأعظمها محلا وفخرا، كيف لا وهو لباب الشريعة، ومنهاج الطريقة، ومنه تشرق أنوار الحقيقة"[٢٧].

أما سلوك الطريق عند ابن عجيبة فله شروط، كما ورد في قوله:" إن سلوك طريق التصوف، وخصوصا لمريد الكشف والتحقيق لا يكون من غير التزام الطاعة والانقياد لشيخ محقق مرشد جامع بين حقيقة وشريعة، لأن الطريق عويص، وأدنى زوال يقع عن المحجة، يؤدي إلى غاية البعد عن المقصود"[٢٨].

ونختم ببعض حكمه وأقواله، حيث يقول رضي الله عنه:

" – شدّوا أيديكم على الشريعة المحمدية، فإنها مفتاح لباب الطريقة والحقيقة، فكل من ترك منها شيئا طرد وأبعد، ولو كان واصلا، فالأبواب كلها مسدودة إلا من أتى باب الشريعة.

**– لولا صحبة الرجال، ما عرف النقص من الكمال.**

**– لولا الشهوات والحظوظ، تصرفت الهمم بأسرع من اللحوظ.**

**– بقدر ما يتفرغ القلب من العلائق تشرق عليه أنوار الحقائق.**

**– لولا الوقوف مع ظلمة الأكوان لأشرقت على القلب شموس العيان**" [٢٩].

ولابن عجيبة مؤلفات كثيرة، وفي علوم مختلفة، منها على سبيل المثال لا الحصر :

**– أزهار البستان**
**– شرح همزية البوصيري**
**– شرح المنفرجة " لابن النحوي**
**– وشرح البردة للبوصيري**
**– وشرح " خمرية ابن الفارض**
**– وحاشية على الجامع الصغير**

- **شرح الوظيفة الزروقية**
- **شرح الحزب الكبير للإمام الشاذلي**
- **شرح الأسماء الحسنى**
- **شرح تائيةالجعيدي**
- **طبقات الأعيان**
- **شرح الحصن الحصين**
- **شرح رائية شيخه البوزيدي**
- **شرح الأجرومية بالإشارة**
- **شرح نونية الشستري**
- **معراج التشوف إلى حقائق التصوف**
- **إيقاظ الهمم في شرح الحكم.**
- **الفتوحات الإلهية، وهو شرح على المباحث الأصلية.**
- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد.**
- **التفسير الكبير لسورة الفاتحة**
- **الدرر الناثرة في توجيه القراءات المتواترة.**

توفي رحمة الله عليه عام (١٢٢٤هـ) في عقر دار شيخه الروحي العارف بالله الشيخ محمد البوزيدي الحسني، ودفن بموطنه بقرية تسمى الزُميج، من قبيلة أنجرة، حيث مازال ضريحه هناك قائما.

## المبحث الثاني : نبذة عن التفسير الإشاري :

### أولا : تعريف التفسير الإشاري :

التفسير الإشاري هو تفسير القرآن بغير ظاهره لإشارة تظهر لأرباب الصفاء ، مع عدم إبطال الظاهر، قال الزرقاني : " التفسير الإشاري : هو تأويل القرآن بغير

ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا "[٣٠].

وقال الصابوني : " التفسير الإشاري : هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره،لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة ، بواسطة الإلهام الإلهي أوالفتح الرباني ، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة "[٣١].

**ثانيا : حكم التفسير الإشاري وأقوال أهل العلم فيه :**

التفسير الإشاري مقبول في الجملة بشروط وستأتي شروط قبوله في مبحث خاص إنشاء الله ولكن نبدأ بذكر بعض أقوال أهل العلم في حكم التفسير الإشاري :

قال الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين: " ما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوجإلى مثل ذلك وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي إلى درجة أعلى منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاما فأسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل "[٣٢].

وجاء في الإتقان للسيوطي : " قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه لطائف المنن : ( اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني العربية ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان وثَمّ أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء في الحديث ( لكل آية ظهر وبطن)[٣٣] ، فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة : هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله، فليس ذلك

بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لامعنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادابها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم "[٣٤].

وقال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى : " ومتى كان المعنى صحيحا والدلالة ليست مرادة فقد يسمى ذلك إشارة وقد أودع الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في حقائق التفسير من هذا قطعة "[٣٥]، وقال أيضا كما في مجموع الفتاوي : " فإن إشارات المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى : – إشارة حالية : وهى إشارتهم بالقلوب وذلك هو الذي امتازوا به وليس هذا موضعه، – وإشارات متعقلة بالأقوال : مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك، فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة وان كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه وان كان تحريفا للكلام عن مواضعه وتأويل اللكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية فتدبر هذا فإني قد أوضحت هذا في قاعدة الإشارات " [٣٦]، وقال أيضا كما في مجموع الفتاوي : " وأما أرباب الإشارات الذين يثبتون ما دل اللفظ عليه ويجعلون المعنى المشار إليه مفهوما من جهة القياس والاعتبار فحالهم كحال الفقهاء العالمين بالقياس والاعتبار وهذا حق إذا كان قياسا صحيحا لا فاسدا واعتبارا مستقيما لا منحرفا "[٣٧]، وقال أيضا: " والثاني ما كان في نفسه حقا لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يُرَد بها ذلك فهذا الذي يسمونه إشارات، وحقائق التفسير لأبى عبد الرحمن فيه من هذا الباب شيء كثير... وهو الذي يشتبه كثيرا على بعض الناس، فإن المعنى يكون صحيحا لدلالة الكتاب والسنة عليه، ولكن الشأن في كون اللفظ الذي يذكرونه دل عليه ، وهذان قسمان :

– أحدهما : أن يقال إن ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افتراء على الله.

– ثانيهما : أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة اللفظ فهذا من نوع القياس فالذي تسميه الفقهاء قياسا هو الذي تسميه الصوفية إشارة وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك، فمن سمع قول الله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[٣٨] وقال : إنه اللوح المحفوظ أو المصحف ، فقال : كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة وهى قلوب المتقين كان هذا معنى صحيحا واعتبارا صحيحا، وكذلك من قال : لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا جنب فاعتبر بذلك أن القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد فقد أصاب"[٣٩] .

وقال ابن القيم في المدارج : "الإشارات : هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بعد ، ومن وراء حجاب ، وهي تارة تكون من مسموع ، وتارة تكون من مرئي ، وتارة تكون من معقول ، وقد تكون من الحواس كلها، فالإشارات : من جنس الأدلة والأعلام ، وسببها : صفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحس والذهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكها. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول : الصحيح منها : ما يدل عليه اللفظ بإشارته من باب قياس الأولى .

قلت : مثاله قوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال ابن تيمية : والصحيح في الآية أن المراد به الصحف التي بأيدي الملائكة، لكن تدل الآية بإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا طاهر، لأنه إذا كانت تلك الصحف لا يمسها إلا المطهرون لكرامتها على الله فهذه الصحف أولى أن لا يمسها إلاطاهر، ومن هذا : أن استقبال القبلة في الصلاة شرط لصحتها وهي بيت الرب ، فتوجه المصلى إليها ببدنه وقالبه شرط ، فكيف تصح صلاة من لم يتوجه بقلبه إلى رب القبلة والبدن ؟ بل وجه بدنه إلى البيت ووجه قلبه إلى غير رب البيت.

وأمثال ذلك من الإشارات الصحيحة التي لا تنال إلا بصفاء الباطن وصحة البصيرة وحسن التأمل . والله أعلم"(٤٠).

وقال في المدارج كذلك : " قال صاحب المنازل : قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ يعني : إذا نسيت غيره ونسيت نفسك في ذكرك ثم نسيتذكرك في ذكره ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكر، كلام صاحب المنازل يحمل على الإشارة لا على التفسير "(٤١).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في شرحه لحديث ابن عباس المشهور في تفسير سورة النصر وإن فيها إشارة لأجَل النبي صلى الله عليه وسلم وقصة ابن عباس مععمر وأهل الشورى، قال الحافظ : "وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات ، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم ولهذا قال علي رضي الله تعالى عنه : أو فهما يؤتيه الله رجلا في القرآن "(٤٢).

وقال السيوطي في الإتقان : " وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير قال ابن الصلاح قال التفتازاني في شرحه على النسفي : سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها، بل لها معان باطنية لايعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية، قال : وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تتكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان "(٤٣).

وقال الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره : " أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ولكن بتأويل ونحوه فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معاني"(٤٤).

وقال أيضا في تفسيره :" فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية لأنها إنما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حال من الأحوال الثلاثة ولا ينتفعبها غير أولئك، فلما كانت آيات القرآن قد أنارت تدبرهم وأثارت اعتباره منسبوا تلك الإشارة للآية. فليست تلك الإشارة هي حق الدلالة اللفظية والاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه كما قد تبين" (٤٥).

وقال الزرقاني في مناهل العرفان : " وقد اختلف العلماء في التفسير المذكور الإشاري، فمنهم من أجازه ومنهم من منعه، ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة، فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولا، إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب، وأما الباطنية فإنهم يقولون إن الظاهر غيرمراد أصلا وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة "(٤٦).

**ثالثا : شروط قبول التفسير الإشاري:**

قال ابن القيم في كتابه التبيان في أقسام القرآن : " وهذه الأقوال إن أريد بها أن اللفظ دل عليها وأنها هي المراد فغلط، وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس فأمرها قريب، وتفسير الناس يحاور على ثلاثة أصول : تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليها لمتأخرون ، وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف ، وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربعة شرائط :

- أن لا يناقض معنى الآية.
- وأن يكون معنى صحيحا في نفسه.
- وأن يكون في اللفظ إشعار به.
- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا "[٤٧].

وقال الزرقاني في مناهل العرفان: " مما تقدم يعلم أن التفسير الإشاري لا يكون مقبولا إلا بشروط خمسة وهي:

- ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم.
- ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.
- ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا كتفسير بعضهم قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٤٨] بجعل كلمة لمع فعلا ماضيا وكلمة المحسنين مفعوله.
- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي أن يكون له شاهد شرعي يؤيده. كذلك اشترطوا.

ثم إن هذه شروط لقبوله بمعنى عدم رفضه فحسب، وليست شروطا لوجوب اتباعه والأخذ به ، ذلك لأنه لا يتنافى وظاهر القرآن، ثم إن له شاهدا يعضده من الشرع وكل ما كان كذلك لا يرفض ، وإنما لم يجب الأخذ به لأن النظم الكريم لم يوضع للدلالة عليه بل هو من قبيل الإلهامات التي تلوح لأصحابها غير منضبطة بلغة ولا مقيدة بقوانين "[٤٩].

**رابعا : أنواع تلك الإشارات :**

قال ابن عاشور في تفسيره: " وعندي أن هذه الإشارات لا تعدو واحدا من ثلاثة أنحاء :

– الأول : ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنىكما يقولون مثلا ﴿ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[٥٠] (أنه إشارة للقلوب لأنها مواضع الخضوع لله تعالى إذ بها يعرف فتسجد له القلوب

بفناء النفوس . ومنعها من ذكره هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية وسعى في خرابها بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى.

– الثاني : ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السمع هو غير معناها المراد وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده والذي يجول في خاطره وهذا كمن قال في قوله تعالى ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ ﴾[٥١] من ذل ذي إشارة للنفس يصير من المقربين للشفعاء فهذا يأخذ صدى موقع الكلام في السمع ويتأوله على ما شغل به قلبه . ورأيت الشيخ محي الدين يسمي هذا النوع سماعا ولقد أبدع.

– الثالث : عبر ومواعظ وشأن أهل النفوس اليقظى أن ينتفعوا من كل شيء ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها فما ظنك بهم إذا قرأوا القرآن وتدبروه فاتعظوا بمواعظه فإذا أخذوا من قوله تعالى ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾[٥٢] اقتبسوا أن القلب الذي لم يمتثل لرسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالا.

وكل إشارة خرجت عن حد هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عداها فهي تقترب إلى قول الباطنية رويدا رويدا إلى أن تبلغ عين مقالاتهم "[٥٣].

**المبحث الثالث : التفسير الإشاري عند الإمام ابن عجيبة :**

ترتكز عملية التفسير عند الشيخ ابن عجيبة على مزاوجة التفسير بالظاهر والتفسير بالإشارة، وهي مزاوجة تتميز عما عهد لدى كثير من المفسرين الصوفية، بكونها أعطت للتفسير بالظاهر المكانة الكاملة، وأولته الاستيفاء التام، بحيث لم يهيمن جانب التفسير الإشاري على غيره.

فعَمَل ابن عجيبة في البحر المديد فيه تدعيم وتعزيز لعملية التفسير كما هي سائدة معروفة في شكلها الظاهر، بعملية أخرى لاحقة تهتم باستنباط واستخلاص

الإشارات الدقيقة والمعاني الصوفية اللطيفة، وهذا ما يعتبر في حد ذاته اجتهادا فريدا، مؤسسا على قواعد وضوابط معينة ينفرد بها عن كثير من المفسرين، ولذلك يمكن القول بأن ابن عجيبة قد أسس فعلا نظرية في التفسير، تجمع بين التفسير بالظاهر والتفسير بالإشارة، وهو وإن لم يكن قد ترك لنا تقعيدا واضحا لمعالم هذه النظرية، فإن حصر بعض جوانبها وملامحها ممكن من خلال ما تم تجميعه من آراء للمؤلف في عملية المزاوجة والمراوحة بين التفسيرات الظاهرة والإشارات الباطنة كما طبقها في تفسيره، ومن خلال ثنائية (العبارة – الإشارة) والتي قعَّد لها في ثنايا كتاباته الأخرى، مما يشكل عنصرا بارزا في مذهبه الصوفي.

**أولا : التفسير والتأويل والإشارة :**

التفسير في اللغة : مشتق من الفسر وهو الإبانة[٥٤]، وفسر الشيء يفسره إذا أبانه، قال تعالى : ﴿وَلَا يَاتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[٥٥]، وهذا الموضع الوحيد الذي وردت في لفظة التفسير في القرآن العظيم.

ويقول ابن عجيبة في بيان معنى التفسير : " التفسير مصدر فسر الشيء أوضحه وبينه، وقيل هو مشتق من سفر بمعنى وضح، يقال أسفر القمر إذا أضاء نوره وأظهر الأشياء.

أما في الاصطلاح فهو العلم الباحث عن معاني القرآن الظاهرة إفرادا وتركيبا وما يتوقف عليه خاصا به. وقيل غير ذلك" [٥٦].

وأورد ابن عجيبة تعريفين لكل من أبي حيان والزركشي فقال : " وحد أبو حيان علم التفسير فقال : هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك[٥٧].

وقال الزركشي : التفسير علم يعرف به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أحكام النزول والناسخ والمنسوخ" [٥٨].

فابن عجيبة إذن باختياره لهذه التعريفات يقر بأن التفسير في معناه العام والسائد يقتضي الوقوف على عدة علوم يستمد منها، وهذا هو التفسير بالظاهر الذي يأخذ به صوفينا ويعتبره ركنا أساسا في التفسير، عكس بعض المفسرين الصوفية الذين لا يقيمون للتفسير بالظاهر وزنا، ولا يرتضون إلا بباطن النص وما حمل منه على محمل الإشارة.

أما التأويل الذي غالبا ما يقارن بالتفسير فأصله من الأَوْلِ وهو الرجوع، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : التأويل : التفسير والمرجع والمصير. وهو ما قرره ابن جرير الطبري حيث قال : " وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير[٥٩]. ويرى صاحب القاموس المحيط أنه من آل إليه أوْلا ومآلا : رجع، وأول الكلام تأويلا وتأوله : دبره وقدره وفسره"[٦٠]. وبذلك يفهم من هذا الشرح أنه لا فرق بين التأويل والتفسير فهما مترادفان.

أما ابن عجيبة فقد فرق بين التأول والتفسير حسب ما يقتضيه اللفظ من معان: فالتأويل حمل اللفظ على بعض معانيه إن كان له معان يحتملها لفظه، فإن لم يكن للفظ إلا معنى واحد فيقال فيه : التفسير. وقيل التأويل إخراج اللفظ عن ظاهره لغرض أو لمانع ، والتفسير هو حمل اللفظ على ما يعطيه ظاهره في عرف تخاطب العرب[٦١].

فابن عجيبة لا يرى إذن أن التفسير والتأويل بمعنى واحد كما ذهب إليه الطبري وأبو عبيدة، بيد أنه في ذهابه إلى أن التأويل هو حمل اللفظ على بعض معانيه إن كان له معان يحتملها لفظه، يكون قد تمسك بمفهوم التأويل عند الإمام

الشافعي وغيره ممن أتى بعده، فالشافعي أخذا من معنى الإرجاع والتصيير سمى حمل اللفظ على معنى من المعاني التي يحتملها تأويلا، فالتأويل في هذه الحالة إرجاع اللفظ وتصييره إلى واحد من هذه المعاني المحتملة، وقد سمى الشافعي في رسالته الذهاب إلى أحد المعنيين في اللفظ المحتمل تَأَوُّلا[٦٢].

وذهب بعض العلماء إلى أن ما وقع مبينا في كتاب الله ومُعَيَّنًا في صحيح السنة المطهرة سمي تفسيرا، لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يتعرض له باجتهاد أو غيره، بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه، والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم[٦٣].

وقد ذهب ابن عجيبة في بيان معنى التأويل مذهبا مماثلا لما سبق أن ارتآه بعض المفسرين أمثال البغوي والكواشي حيث قالوا : " التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط"[٦٤]. ويفهم من هذا التعريف أن التأويل ينصب على الآية كلها لا على مفرداتها فحسب كما أنه يتضمن شروطا ليكون التأويل مقبولا.

أما التعريف الثاني الذي أورده ابن عجيبة للتأويل فقد قال به كثير من المفسرين كما قرره الأصوليون الذين قالوا : " إنه حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره"[٦٥]. أما تعريف التأويل بمعنى الباطن الذي ذهب إليه بعض الصوفية فلم يقل به ابن عجيبة ، بالرغم من أنه نقل بهذا الصدد عن السهروردي في عوارفه قوله : " فالظاهر لفظ القرآن والباطن تأويله"[٦٦].

ولذلك فهو لا يستعمل سوى مصطلح التفسير فيما تعلق بالتفسير بالظاهر، غير أنه من خلال استعماله لمصطلح التأويل – في حالات نادرة جدا – يبدو أن التأويل عنده إنما يحتاج إليه بعد تفسير الألفاظ الواردة في النص، وتبين معانيها الظاهرة، فالتأويل خطوة تالية لخطوة التفسير، لكنها لا تعني قط استنباط الإشارة

الصوفية، فابن عجيبة يقصر استعمال مصطلح التأويل على ندرته في تفسيره على جانب تفسيره بالظاهر، وهو ما يتبين بجلاء في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ (٦٧). وقوله تعالى : ﴿لِيَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٦٨) فهو يفترض أن يكون استعمال التأويل أحيانا عن قصور في اللغة، وبذلك يظهر أن ابن عجيبة يعتبر الفهم الصوفي الذي تنتج عنه الإشارة مستقلا عن التأويل ، لأن التأويل لا يوظف إلا لغرض خاص لا يستقيم خطاب القرآن للمؤل بدونه:

أما الإشارة فهي في اللغة بمعنى الإيماء والإيحاء ، وهي عند الصوفية عبارة عن لطائف لاحت في قلوبهم من أنوار إلهية، بها بينوا بعض معاني آيات القرآن الكريم: ولهذا سموا أهل الإشارة، وهو مصطلح يكثر وروده في تفسير ابن عجيبة، أما إطلاق كلمة تفسير على كلام الصوفية في تأويل آي القرآن الكريم فهي على سبيل التجوز فقط، لأن علم التفسير الذي اصطلح عليه جل المفسرين إنما يراد به البحث عن مراد الله على عكس الإشارة، ولذلك عرفوا التفسير الإشاري بأنه : " تأويل آيات القرآن على غير ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأهل العلم والسلوك، تقوم على التطابق بينها وبين الظواهر المرادة من الآيات القرآنية بوجه من الوجوه الشرعية"(٦٩).

أما ابن عجيبة فيميز بدوره بين التفسير والإشارة تمييزا واضحا حيث يقول : " التفسير في اللغة هو الكشف والإيضاح، وفي الاصطلاح هو العلم الباحث عن معاني القرآن الظاهرة إفرادا وتركيبا وما يتوقف عليه خاصا به أو كالخاص، وقيدناه بالمعاني الظاهرة احترازا عن فهوم أهل الإشارات، فإنها ليست بالتفسير المتعارف، بل هي خارجة عما تؤديه العبارة"(٧٠).

ويأتي هذا التمييز بين المصطلحين بصورة أوضح عند قوله في معرض تفسيره لآية قرآنية على طريق أرباب السلوك : " وهو تفسير إشارة لا تفسير معنى اللفظ "[٧١].

ويرى ابن عجيبة أن جانب الإشارة مرتبط بحقل التفسير ارتباطا وثيقا، فالتفسير الكامل هو الذي يجمع فيه صاحبه بين المجالين بتناسق ومراوحة تجعل الإشارة توضح العبارة وتبينها أجلى بيان، وتبرز معاني النظم الكريم إبرازا محكما، وقد تحدث ابن عجيبة عن شروط المفسر وآدابه وأكد على أنه يجب على المفسر أن يكون من أهل التنوير جامعا بين الحقيق والشريعة، فالمعاني الباطنية لا يمكن أن يغوص عليها إلا من أشرقت على قلبه أنوار الشموس العرفانية، ولكي يبلغ هذا المفسر هذه المرتبة عليه أن يكون ورعا زاهدا ذا همة عالية وبصيرة نافذة، إذ كما يقول : من لم يكن هكذا حظه من التفسير القشر الظاهر، أما لب القرآن فلا يشم له رائحة لأن معاني القرآن لا تنكشف إلا لقلب صفت مرآته من الصدإ[٧٢].

وكثيرا ما يشير ابن عجيبة إلى هذا الصدإ الذي يطال قلوب بعض الناس المحجوبين عن فهم وتدبر آيات الكتاب العزيز ويؤدي إلى جمود الأفهام ، وهو الجمود الذي تتظافر على تكريسه عدة عوامل عبر عنها الإمام الغزالي بالحجب الذي يمنع القلب من التدبر والفهم، وقد أحال ابن عجيبة في هذا الصدد على كلام الغزالي حول هذه الحجب المانعة من التدبر ، وفيما يلي نص الكلام ننقله لأهميته وفائدته، يقول الغزالي : والحجب التي تمنع من التدبر والتفهم أربعة :

أولها : أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فأنى تكشف له المعاني.

ثانيها : أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه من غير وصول إليه ببصيرة، فلا يمكن أن يخطر بباله غير معتقده، فصار نظره مقصورا على مسموعه ، ثم قال : وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور على الباطن.

ثالثها : أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر أو مبتلى بهوى مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدإه، وهو كالخبث على المرآة فيمنع حلية الحق من أن تتجلى فيها، وهو أعجم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون، وكلما كانت الشهوات أكثر تراكما كانت معاني القرآن أشد احتجابا، وكلما خفت على القلب أثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه، فاقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدإ ومعاني القرآن مثل الصور التي تقرر في المرآة، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا عظمت أمتي الدنيا والدرهم نزع منها هيبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي» (٧٣).

وقد شرط الله تعالى الإنابة في فهم القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (٧٤)وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (٧٥)، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٧٦)، والذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة ليس من ذوي الالباب فلذلك لا تتكشف له أسرار الكتاب.

رابعها : أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي ، ومن فسر القرآن بالرأي فقد تبوأ مقعده من النار فهذا أيضا من الحجب العظيمة.

وهكذا نجد أن الفهم الإشاري الذي اختاره ابن عجيبة وسيلة لتذوق القرآن والاندماج في أعماقه، يتميز عن التفسير والتأويل، إذ الإشارة لا يتوصل إليها بعلوم اللغة والنحو والرواية والنقل فقط ، بل لابد من إلهامات وإيحاءات تلوح لمن ترقى في معراج التصوف وتوجه إلى الله تعالى بكليته.

والذي يمكن استنتاجه من خلال ما سبق أن ابن عجيبة يرى :

أن التفسير والفهم مرحلتان تسبقان مرحلة الفهم الإشاري.

أن مستوى الفهم الإشاري لا يبلغه إلا من كان ورعا زاهدا ذا بصيرة نافذة ، قد صفا قلبه من الحجب التي تمنع من التدبر عكس المستويات الأخرى.

أن الإشارة ليست بتفسير بقدر ما هي لطائف صوفية دقيقة، وإطلاق كلمة تفسير على الإشارات إنما هو على سبيل التجوز فحسب.

**ثانيا : بين العبارة والإشارة والرمز :**

بعد أن شرحنا الفروق بين التفسير والتأويل والإشارة، نبقى مع القسم الثالث الذي هو الإشارة لنقابله بما يعرف بالعبارة كمصطلح خاص بالصوفية، بيد أن العلاقة بين العبارة والإشارة هي العلاقة نفسها بين الظاهر والباطن، إذ ظاهر العبارة هو ما تدل عليه من حيث وضعية اللغة، وإذا كانت لغة العبارة محددة المعنى قائمة على أسس وقواعد متعارف عليها – ويجب أن تكون كذلك حتى تستجيب لمتطلبات الحياة العملية – فإن لغة الإشارة تبقى دائما حبلى بالمعاني والدلالات الروحية التي تستجيب لأكثر من تجربة إنسانية، وتحتمل بالتالي أكثر من إشارة، ولذلك كان شيخ ابن عجيبة محمد البوزيدي لا يقيم في أشعاره وزنا للقواعد والقوالب الشعرية المعروفة، بل كان يوصي بإبقائها مضطربة الأوزان كما هي، ويقول : " من طلب المعاني وجدها، ومن طلب الحروف والأوزان يبقى معها"(٧٧).

وتستمد الإشارة أهميتها وقيمتها من اعتبار علماء الأصول لدلالتها، فإنهم لما تكلموا عن ألفاظ الكتاب والسنة وقسموا دلالتها إلى نوعين : منطوق ومفهوم، قسموا دلالة المنطوق إلى دلالة اقتضاء ودلالة إشارة(٧٨).

ومثلوا للأخيرة بقوله تعالى :﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾(٧٩) وقالوا دلت الآية بطريق المنطوق على إحلال الجماع طول ليلة الصيام، ويؤخذ منها بطريق الإشارة صحة صوم من أصبح جنبا. فكما استخرج علماء الأصول والفقه من

ألفاظ القرآن الكريم والسنة المطهرة بطريق الإشارة أحكاما تشريعية، كذلك استخرج الصوفية بطريقها علوما ربانية(٨٠).

فالإشارة إذن كما سبق أن بينا مجرد إيحاء بالمعنى دون تحديد مقصود متعين، عكس العبارة التي وإن لم تكن محددة للمعنى القرآني تحديدا قطعيا إلا أنها أقرب ما تكون إلى ذلك من الإشارة، غير أن مستعمل العبارة يبقى سجين اللغة الموظفة والذات المستعملة لتلك اللغة عكس مستعمل الإشارة فهو من خلال تجربته الصوفية الحية لا يرى في العبارة سوى مجموعة من الإشارات والإيحاءات الدالة عليها، يجب عليه أن يستخرجها ويكشف عنها بطريق التفاعل مع صورها والتعاطف مع معانيها، لذلك نجد ابن عجيبة كثيرا ما يشكو من ضيق العبارة وعدم قابلية قوالبها اللغوية لاستيعاب المعاني والإشارات المراد التعبير عنها، لذلك فهو يرى أن التجربة الصوفية كلما ازدادت عمقا وتجريدا كلما ازدادت شفافية ورقة، ولذلك قالوا : كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة، ويقول ابن عجيبة في بعض التفسيرات الإشارية التي أوردها في بحره المديد : وهذا يسلم في طريق الإشارة لأنها خارجة عن سياق العبارة(٨١).

ويصنف ابن عجيبة الناس حسب مستوى إدراكهم للإشارت الصوفية وفهمهم لمعانيها إلى ثلاثة أصناف :

فمنهم من لا يفهم منها شيئا ولا يعرف إلا ظاهر العبارة وهم الجهال من عموم الناس، ومنهم من يفهم المقصود ويجد الحق بعد سماع الإشارة وهم أهل البداية من السائرين، ومنهم من يفهم الإشارة ويجد المشار إليه – وهو الحق – أقرب إليه من إشارته(٨٢).

فابن عجيبة يوصي دوما بضرورة حماية الإشارة الصوفية من العامة ومن فهمهم السطحي، فللحقيقة الصوفية سر لا يجب كشفه لغير أربابه ومجربيه، وإذا ما تم الإفصاح عن ذلك، فالمطلوب من عامة الناس التسليم بذلك والتفويض لقائليه دون

توجيه الانتقاد إليهم أو لومهم في شيء. يقول ابن عجيبة : وهذه الأمور كلها ألغاز وإشارات لا يسلمها أهل الظاهر وإنما يتذوقها أهل الباطن[٨٣] ويلغزون بينهم بها وقد قالوا[٨٤]: علمنا كله إشارة فإذا صار عبارة خفي[٨٥]. وبعد تفسيره لآية النور من سورة النور تفسيرا إشاريا لطيفا قال : " ولا يفهم هذا إلا أهل الفناء من العارفين بالله، وحسب من لم يبلغ مقامهم التسليم لما رمزوا إليه وتحققوه ذوقا وكشفا"[٨٦].

إن استخدام ابن عجيبة لكلمة الإشارة في تفسير النص القرآني، وبالتالي توظيفه لباب الإشارة عقب كل تفسير بالظاهر لآيات القرآن العظيم، لا يعني أدنى تعارض بين العبارة والإشارة أو بين الظاهر والباطن، ولكنها تعني استخدام مصطلح يتوافق مع رمزية النص من جهة، ويتحاشى هجوم الذين جمدوا على ظواهر النصوص من جهة أخرى، على اعتبار أنهم يقبلون مصطلح الإشارة كمدلول للتفسير الصوفي الذي لا يتعلق بتفسير ظواهر النصوص.

ولهذا الأمر فالنص القرآني عند ابن عجيبة تكمن أهمية تفسيره في كونه يحمل دلالة مزدوجة، دلالة العبارة ودلالة الإشارة، أو بالأحرى دلالته على المعرفة الكونية الظاهرة ودلالته على المعرفة الصوفية الباطنة، يقول عند تفسير قول الله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [٨٧]: قد اشتملت الآية على مقام الاستدلال في مقام الإيمان وعلى مقام العيان في مقام الإحسان[٨٨]، فدلالته على الكون الظاهر مقام الاستدلال في مقام الإيمان: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴾، ودلالته على المعرفة الباطنة مقام العيان في مقام الإحسان : ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾، فالمعنى الظاهر الذي يفهمه عامة الفقهاء هو دلالة النص القرآني على الكون الظاهر ، والإشارة هي المعاني التي يفهمها المتصوفة.

أما مصطلح الرمز فيوظفه ابن عجيبة توظيفا مماثلا ، فالرمز عنده بمعناه العام يعطي نفس مدلول الإشارة، فأهل الإشارة هم أهل الرموز[٨٩]، وتفسير القرآن الكريم بالإشارة أو بالرمز بمعنى واحد [٩٠]، بيد أن هناك فروقا دقيقة بين الإشارة

والرمز يلحظها ابن عجيبة بعناية، مؤكدا أن الرمز يستعمل فيما هو أدق من الإشارة حيث يقول : الإشارة أرق وأدق من العبارة والرمز أدق من الإشارة، فالأمور ثلاثة : عبارات وإشارات ورموز، وكل واحدة أدق مما قبلها ، فالعبارة توضح والإشارة تلوح والرمز يفرح، أي يفرح القلوب بإقبال المحبوب، فالرموز إيماء بين المحبوب وحبيبه لا يفهمها غيرهم، ومنها في القرآن العظيم فواتح السور، قال الشيخ زروق في شرح الحزب الكبير : "وقد حارت العقول في رموز الحكماء فكيف بالعلماء فكيف بالأنبياء فكيف بالمرسلين ، فكيف يطمع في حقائق رب العالمين" (٩١).

فابن عجيبة من خلال هذا النص يعطي لمصطلح الرمز مستوى أدق وأعلى من مستوى الإشارة التي يدركها أربابها من أهل الفن، غير أننا لا نكاد نعثر في تفسيره على هذا النوع من التمييز بين المصطلحين، وكل ما أمكن ملاحظته بهذا الصدد هو استعماله أحيانا لعبارة أهل الرموز مرادفة لأهل الإشارة، كما أنه يستعمل لفظة الرمز والرموز فيما يتعلق بالحروف المقطعة من فواتح السور التي هي : رموز رمز الله تعالى بها بينه وبين حبيبه(٩٢).

وكثيرا ما يفرق الصوفية بين الإشارة والرمز بأن الرمز يكون استعماله خاصا بتلك الشطحات التي يعبر عنها أصحاب التصوف النظري الفلسفي، ينفسون من خلاله عن معاناتهم الباطنية حيث يمكنهم الرمز من بعض التعبير خوفا من أن يجر عليهم وبالا من الانتقادات، بل ربما كُفر الصوفي أو فُسق أو بدع من أجل ذلك، كما هو الشأن بالنسبة للحلاج (ت٣٠٩ ) وابن سبعين (ت ٦٦٧) وابن عربي (ت ٦٣٨) والسهروردي ( ت ٥٨٧).

ويوجه الشيخ أحمد زروق معاني الرمز ويحصره في أربعة مقاصد :

- قوة الحال التي توجب التنفيس بالكلام.
- إرشاد سالك وتقريب المعنى له.
- مراعاة الاختصار بحيث إن الرمز الوجيز يستطيع أن يحمل دلالات واسعة.

- الحيلولة دون بلوغ حقائقهم إلى من ليس هو من طائفتهم على الحقيقة[٩٣].

ويرى ابن عربي أن الرموز ليست مرادفة لأنفسها وإنما لما رمزت له ولما ألغز فيها ، ومواضعها من القرآن الكريم آيات الاعتبار كلها والتنبيه على ذلك قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾[٩٤]، وكذلك الإشارة والإيماء قال تعالى : ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [٩٥]، أي بالإشارة، وكذلك ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ [٩٦] في قصة مريم لما نذرت للرحمان أن تمسك عن الكلام[٩٧].

إن الفارق بين الظاهر والباطن وبين العبارة والإشارة والرمز فارق كيفي لا كمي، فالإشارة أفصح من العبارة والرمز أدق من الإشارة، لذلك يصر ابن عجيبة على ضرورة الجمع بين الظاهر والباطن في فهم النص القرآني، لأن الظاهر يمثل الرمز الذي لا يمكن النفاذ إلى المرموز إليه الباطن إلا من خلاله.

## خاتمة :

إن تفسير ابن عجيبة ليس تفسيرا إشاريا محضا، وإنما هو جامع بين الإشارة والعبارة، دونما إخلال بحقوق واحدة منهما، مستفيدا في ذلك من كثرة علومه في المنقولات والمعقولات، ومع هذا فهو يقر أن عملية التفسير بهذه الطريقة هي عملية عسيرة وشاقة لا يقدم عليها إلا " العالم النحرير الذي رسخت أقدامه في العلوم الظاهرة، وجالت أفكاره في معاني القرآن الباهرة، بعد أن تضلع من العلم الظاهر، عربية وتصريفا ولغة وبيانا وفقها وحديثا وتاريخا، ويكون أخذ ذلك من أفواه الرجال، ثم غاص في علوم التصوف ذوقا وحالا، وإلا فسكوته عن هذا الأمر العظيم أسلم، واشتغاله بما يقدر عليه من علم الشريعة الظاهرة أتم "[٩٦].

ومن ثم عقد ابن عجيبة في تفسيره الكبير للفاتحة مبحثا مهما حول العلوم التي يجب على المفسر أن يتوفر عليها قبل إقدامه على تفسير كلام الله رب العالمين ، حيث نقل عن السيوطي ما ذكره في الإتقان من العلوم الخمسة عشر التي يجب على المفسر استيعابها وهي باختصار : اللغة، النحو، الصرف، الاشتقاق، المعاني، البيان، البديع، القراءات القرآنية، أصول الدين، أصول الفقه، أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، الفقه، علوم الحديث، ثم أخيرا علم الموهبة[٩٧].

غير أن ابن عجيبة لم يرتض هذا الحصر الذي أورده السيوطي نقلا عن بعض العلماء فأضاف علوما أخرى مهمة استنبطها من خلال بعض الآيات القرآنية التي تشير وتومئ إليها، ونبه إلى أن المفسر إنما يتوقف عليها كمالا أو شرطا، إذ هي في مجملها علوم ثانوية لا يتوقف إدراكها على ضبط لقواعد معينة أو استيعاب لحقول معرفية معلومة، وقد ميز المؤلف بين علوم يكثر ورودها في القرآن الكريم مثل : القصص والأخبار وعلم المنطق وعلم التنجيم والهيئة، وبين علوم أخرى وقعت بعض الإشارات إلى بعضها.

## الهوامش

(١) محمد/٢٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، رقم الحديث : ٦٧.

(٣)الرعد/١٧.

(٤)القرطبي (محمد بن أحمد الأنصاري)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الشعب، القاهرة، ط٢: ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ٢٥٩/٩.

(٥)ابن كثير (إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.الأولى : ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٢٦٨/٢.

(٦) تيمية (أحمد عبد الحليم، مجموع الفتاوي)، تحقيق عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٢٤٥/١٣.

(٧)ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق : محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى : ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٣٥٤/١.

(٨)الزركلي (خير الدين)، الإعلام، (قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ٢٤٠/١.

(٩)التليدي( عبد الله)، المطرب في مشاهر أولياء المغرب، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر، طنجة، الطبعة الثانية : ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص220 .

(١٠)ابن عجيبة (أحمد بن محمد التطواني)، الفهرسة، تحقيق عبد الحميد صالح عثمان، دار الغد العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص.٢٦.

(١١) المصدر نفسه، ص.٢٧.

(١٢)المصدر نفسه، ص.٢٨.

(١٣) هو شيخ الشيوخ الأستاذ العلامة الفقيه المفتي النحوي المدرس المتفنن المشارك: أبو عبد الله محمد بن أحمد المرابط بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب الأدوزي السملالي السوسي. ولد آخر ربيع الثاني سنة ١١٦٤هـ/١٧٥١م، وسط أسرة أدوزية عريقة في العلم. أخذ مبادئ العلوم عن والده الفقيه أحمد المرابط، وعن ابن عمه علي بن

إبراهيم(ت١٢٠٧هـ)، وعن العلامة محمد بن إبراهيم الكرسيفي التملي(ت١٢١٤هـ)، وقيل أخذ أيضاً عن العلامة الحضيكي(ت١١٨٩هـ)، وعن آل ءازاريف أولاد محمد بن يحيى، وهم أخواله. له مؤلفات عدة منها : «عمدة الطالبين لفهم ألفظ المرشد المعين» مطبوع، و«شرح تُحفة الحبيب» لإبراهيم التاكوشتي، و«شرح اليوسفية» في النحو، و«نزهة الجُلَّاس في أخبار أبي أحْلاس»، و«إعراب بعض القرآن»، و«حكم التصيير»، و«مؤلف في الحملاء الستة»، و«مؤلف في المغارسة»، و«فتاوى متفرقة».وقال العربي الأدوزي: وله طرر وتقييدات كثيرة في كل كتبه مفيدة جداً، لو جُمعت لكانت أسفاراً.وافاه، رحمه الله، أجله المحتوم سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٦م، ودفن في «بير الطرفة»، وذكر العلامة المختار السوسي أن موسى بن أحمد الدغوغي رثاه في قصيدة من سبعة وعشرين بيتاً. ينظر : محمد المختار السوسي، سوس العالمة، مطبعة فضالة المحمدية، طبعة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ص.ص.١٩٦-٢١٤، عبد السلام ابن سودة، إتحاف المطالع من أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص.١٠٢، خير الدين الزركلي، الإعلام، (قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٦، ص.١٧، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مطبعة الترقي، دمشق، طبعة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ج٩، ص.١١.

(١٣)المصدر نفسه، ص.ص.٣٠-٣٤.

(١٤) هو الشيخ عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن قاسم بن سعدي بن قرِّيش، نزيل تطوان، كان علامة مشاركا مدرسا حافظا ضابطا خطيبا، تولى قضاء مدينة طنجة، وتوفي بالمشرق بعد أداء فريضة الحج سنة ١١٩٧هـ. ينظر : محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى : ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٨، ص.٢٤٢٦.

(١٥) المصدر نفسه، ص. ٣٠.

(١٦) معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا: ط، ٢٠٠٥م، ٥٩٩٠/١٨.

(١٧) التليدي، المطرب، م س، ص.٢٢٠.

(١٨)ابن عجيبة، الفهرسة، م س، ص.٣٢.

(١٩)، المطرب، م س، ص.٢٢١.

(٢٠)ابن عجيبة، الفهرسة، م س، ص.٤٠.

(٢١) الكوهن، (قاسم الفاسي ) ، طبقات الشاذلية الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢ /٢٠٠٥م ، ص.١٥٢.

(٢٢) عجيبة، الفهرسة، م س، ص.١٠١.

(٢٣) نفسه، ص.٣٨.

(٢٤)ابن عجيبة (أحمد بن محمد التطواني)، الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية–بيروت، ط:١/٢٠١٠م، ص.٥٦.

(٢٥) عجيبة (أحمد بن محمد التطواني)، إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عطاء الله السكندري، تحقيق: محمد عزت، المكتبة التوفيقية، طبعة ٢٠٠٨م، ص.٢٣.

(٢٦)ابن عجيبة، الفهرسة، م س، ص. ٦٠.

(٢٧) المصدر نفسه، ص.ص. ١٢٥–١٢٧.

(٢٨)الزرقاني (محمد عبد العظيم)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق : فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى : ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٢/٥٦.

(٢٩)الصابوني ( محمد علي )، التبيان في علوم القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ص.١٩١.

(٣٠)الغزالي (محمد)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ، ١/٢٩٣.

(٣١) رواه الطبراني في المعجم الكبير بلفظ: " لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله، وأنزل القرآن على سبعة أحرف، ولكل آية منها ظهر وبطن". المعجم الكبير: ( ١٠ / ١٠٥) برقم (١٠١٠٧)ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه: ( ١ / ٢٧٦ ) برقم ( ٧٥ )، والبزار في مسنده: ( ٧ / ١٥٢ )، والطبراني في المعجم والأوسط: ( ١ / ٢٣٦ ) برقم ( ٧٧٣ )، وأبو يعلى في مسنده: ( ٩ / ٢٧٨ ) برقم ( ٥٤٠٣).

(٣٢)السيوطي( جلال الدين عبد الرحمان)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة : ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ٢/٤٨٨.

(٣٣) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، م س، ١٠/٥٦٠.

(٣٤) المصدر نفسه، ٦/٣٧٦.

(٣٥)المصدر نفسه، ٢/٢٨.

(٣٦) الواقعة/٧٩.

(٣٧) تيمية، مجموع الفتاوى، م س، ١٣/٢٤٠.

(٣٨) ابن القيم ( شمس الدين محمد بن أبي بكر )، مدارج السالكين في شرح منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق : محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، 1416هـ/1996م، ٤٠٦/٢.

(٣٩) المصدر نفسه، ٤٣١/٢.

(٤٠) ابن حجر ( أحمد بن علي العسقلاني)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار التقوى، القاهرة، طبعة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٧٣٦/٨.

(٤١) السيوطي، الإتقان، م س، ٤٨٥/٢.

(٤٢)ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد ، التحرير والتنوير)، الدار التونسية– تونس، طبعة ١٩٨٤م، ١٦/١.

(٤٣)المصدر نفسه، ١٦/١.

(٤٤) الزرقاني، مناهل العرفان، م س، ٥٦/٢.

(٤٥)ابن القيم ( شمس الدين محمد بن أبي بكر )، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ص.٤٩.

(٤٦) العنكبوت/٦٩.

(٤٧) الزرقاني، مناهل العرفان، م س،٥٨/٢.

(٤٨)البقرة /١١٤.

(٤٩)البقرة/٢٥٥.

(٥٠) المزمل/١٦.

(٥١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، م س، ١٦/١.

(٥٢) الفيروزآبادي ( محمد بن طاهر)، القاموس المحيط، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة : ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ١١٠/٢.

(٥٣) الفرقان/٣٣:

(٥٤) ابن عجيبة (أحمد بن محمد التطواني)، تفسير الفاتحة الكبير، تحقيق : عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة : ٢٠٠٦م، ص.٦٢.

(٥٥) أبو حيان (أثير الدين الأندلسي)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق : صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة : ١٤٢٠هـ ، ١٣/١.

(٥٦) الزركشي ( بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق : يوسف عبد الرحمان المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت لبنان، دون تاريخ، ١٣/١.

(٥٧) الطبري (ابن جرير)، تفسير الطبري، تحقيق : محمود محمد شاكر، دار المعارف،

القاهرة، طبعة عام ١٣٧٤هـ، ٧٧/١.
(٥٨) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، م س، ١١٠/٢.
(٥٩) ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، م س، ص.٦٢.
(٦٠) الشافعي (محمد بن إدريس)، الرسالة، تحقيق : أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة الأولى : ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م، ص.٤٥٨.
(٦١) السيوطي، الإتقان، م س، ١٦٩/٤.
(٦٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، م س، ١٥٢/٢.
(٦٣) الآمدي( علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق : عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق، لبنان، دون تاريخ، ٧٣/٣، السيوطي، الإتقان، م س، ١٩٢/٤.
(٦٤) ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، م س، ص.٥٣.
(٦٥) الذاريات /٥٧.
(٦٦) الحديد /٢٩.
(٦٧) ينظر : العك ( خالد عبد الرحمان)، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، عمان، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص.٢٠٥. والذهبي ( محمد حسين)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، دون تاريخ، ٣٨١/٢.
(٦٨)ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، م س، ص.٦.
(٦٩) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، م س، ٢٢٠/٢.
(٧٠) ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، م س، ص.٥٢.
(٧١) لا يوجد ضمن الكتب الستة.
(٧٢) ق/٨.
(٧٣) غافر/١٣.
(٧٤) الزمر/٩.
(٧٥) العسكري، كنز الأسرار، مخ بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم : ٢٨٤١، ص. ١٢٣.
(٧٦) هناك من يقسم دلالة المنطوق إلى ثلاثة أقسام : دلالة اقتضاء ودلالة إيماء ودلالة إشارة، أما دلالة الإشارة فقد عرفوها بأنها : دلالة اللفظ على لازم غير مقصود للمتكلم، ولا يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته. ينظر : محمد أديب صالح، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، المكتب الإسلامي، القاهرة، طبعة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ٦٠٥/١. وقال الغزالي في المستصفى : فكما أن المتكلم قد يفهم بإشارته وحركته في أثناء كلامه ما لا يدل عليه نفس اللفظ فيسمى إشارة ، فكذلك قد يتبع اللفظ ما لم يقصد به ويبنى عليه. ينظر : الغزالي (أبو حامد)، المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية : ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ١٨٨/٢.

(٧٧) البقرة/١٨٧.
(٧٨) الغماري (أبو الفضل عبد الله محمد الصديق)، بدع التفاسير، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص.١٥١.
(٧٩) ينظر عل سبيل المثال : ابن عجيبة (أحمد بن محمد التطواني)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية : ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٣٣/٤.
(٨٠) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، م س، ١١٩/١.
(٨١) يستعمل ابن عجيبة مصطلح أهل الباطن مرادفا لأهل الإشارة. ينظر : ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، م س، ٢٩/٢. ويراجع قوله : وأما تفسير أهل الباطن فهو إشارة لا تفسير معنى. ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، م س، ١١٢/٢.
(٨٢) من كلام الروذباري الصوفي .
(٨٣) ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، م س، ١١٤/١. ويلاحظ من خلال هذا النص أن استعمال ابن عجيبة للفظة ألغاز مرادفة للفظة إشارة.
(٨٤) ينظر : ابن عجيبة، البحر المديد، م س، ٦٧/٣.
(٨٥) فصلت/٥٣.
(٨٦) ابن عجيبة، البحر المديد، م س، ٢٤٤/٣.
(٨٧) ينظر مثلا : تفسيره لقول الله عز وجل : (آرباب متفرقون ) حيث يعبر عن أهل الإشارة وأهل الرموز. ابن عجيبة، البحر المديد، م س ، ١٠٦/٢.
(٨٨) ينظر : ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، م س، ص.٥٧.
(٨٩) ينظر: ابن عجيبة، إيقاظ الهمم، م س، ١١٨/١.
(٩٠) ينظر مثلا : ألم البقرة، ابن عجيبة، البحر المديد، م س ، ٦/١، ألمص الأعراف ، ابن عجيبة، البحر المديد، م س، ١/٢.
(٩١) ينظر : أحمد زروق، قواعد التصوف، القاعدة ١٩٦.
(٩٢) العنكبوت/٤٣.
(٩٣) آل عمران/٤١.
(٩٤) مريم/٢٩.
(٩٥) ابن عربي، الفتوحات المكية، طبعة دار صادر، دون تاريخ، ١٨٩/١.
(٩٦) ابن عجيبة، البحر المديد، م س، ٤٩/١.
(٩٧) ينظر : ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، م س، ص.ص. ٥٨-٦٠. والسيوطي، الإتقان : م س، ١٨٥/٤-١٨٨.

## قائمة المصادر والمراجع


●القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

١. (حجي) محمد، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى : ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. عشرة أجزاء.

٢. ابن القيم ( شمس الدين محمد بن أبي بكر )، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

٣. ابن القيم ( شمس الدين محمد بن أبي بكر )، مدارج السالكين في شرح منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق : محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، 1416هـ/1996م.

٤. ابن تيمية (أحمد عبد الحليم، مجموع الفتاوي)، تحقيق عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٥. ابن حجر ( أحمد بن علي العسقلاني)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار التقوى، القاهرة، طبعة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٦. ابن سودة (عبد السلام)، إتحاف المطالع من أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. جزآن.

٧. ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد ، التحرير والتنوير)، الدار التونسية– تونس، طبعة ١٩٨٤م.

٨. ابن عجيبة (أحمد بن محمد التطواني)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية : ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٩. ابن عجيبة (أحمد بن محمد التطواني)، الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية–بيروت، ط:١/٢٠١٠م.

١٠. ابن عجيبة (أحمد بن محمد التطواني)، الفهرسة، تحقيق عبد الحميد صالح عثمان، دار الغد العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١١. ابن عجيبة (أحمد بن محمد التطواني)، إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عطاء الله السكندري، تحقيق: محمد عزت، المكتبة التوفيقية، طبعة ٢٠٠٨م.

١٢. ابن عجيبة (أحمد بن محمد التطواني)، تفسير الفاتحة الكبير، تحقيق : عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة : ٢٠٠٦م.
١٣. ابن عربي، الفتوحات المكية، طبعة دار صادر، دون تاريخ.
١٤. ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق : محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى : ١٤١١هـ/١٩٩١م.
١٥. ابن كثير (إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.الأولى : ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٦. أبو حيان (أثير الدين الأندلسي)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق : صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة : ١٤٢٠هـ.
١٧. الآمدي( علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق : عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق، لبنان، دون تاريخ.
١٨. التليدي( عبد الله)، المطرب في مشاهر أولياء المغرب، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر، طنجة، الطبعة الثانية : ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
١٩. الذهبي ( محمد حسين)، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، دون تاريخ.
٢٠. الزرقاني (محمد عبد العظيم)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق : فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى : ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٢١. الزركشي ( بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق : يوسف عبد الرحمان المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت لبنان، دون تاريخ.
٢٢. الزركلي (خير الدين)، الإعلام، (قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، سبعة أجزاء.
٢٣. السوسي (محمد المختار)، سوس العالمة، مطبعة فضالة المحمدية، طبعة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
٢٤. السيوطي( جلال الدين عبد الرحمان)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة : ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
٢٥. الشافعي (محمد بن إدريس)، الرسالة، تحقيق : أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة الأولى : ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

٢٦. الصابوني ( محمد علي )، التبيان في علوم القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
٢٧. الطبري (ابن جرير) ، تفسير الطبري، تحقيق : محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، طبعة عام ١٣٧٤هـ.
٢٨. العسكري، كنز الأسرار، مخ بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم : ٢٨٤١، ص. ١٢٣.
٢٩. العك ( خالد عبد الرحمان)، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، عمان، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٣٠. الغزالي (أبو حامد)، المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية : ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
٣١. الغزالي (محمد)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.
٣٢. الغماري ( أبو الفضل عبد الله محمد الصديق)، بدع التفاسير، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
٣٣. الفيروزآبادي ( محمد بن طاهر)، القاموس المحيط، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة : ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٣٤. القرطبي (محمد بن أحمد الأنصاري)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الشعب، القاهرة، ط٢: ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٣٥. الكوهن، (قاسم الفاسي ) ، طبقات الشاذلية الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢ /٢٠٠٥م.
٣٦. محمد أديب صالح، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، المكتب الإسلامي، القاهرة، طبعة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٣٧. معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا: ط، ٢٠٠٥، ٥٩٩٠/١٨.